عَظِّم ربَّك

فضيلة الشيخ

هاني حلمي

www.Manhag.Net

www.Manhag.Net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا

من يهده الله تعالى فلا مُضِلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبد الله ورسوله

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد

اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد

أما بعد ،،

فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى وإن خير الهدي هدي محمدٍ ﷺ

وإن شر الأمور مُحدثاتها وكل مُحدَثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالةٍ في النار

قال الإمام ابن القيم في كتاب (الفوائد) : "إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغنِ أنت بالله، وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله، وإذا أنِسوا بأحبابهم فاجعل أُنسك بالله، وإذا تعزَّزوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة، فتعزَّف أنت إلى الله وتودد إليه تنلْ بذلك غاية العز والرفعة"

كلام يُكتب بمداد الذهب .. إذا استغنَ الناس بالدنيا وبأهلها، فاستغنَ أنت بالله .. ولا تفتقر إلى أهل الدنيا ولا إلى دنياهم .. وإذا وجدت الناس يفرحون بما يُحصِّلون من متاع الدنيا الزائل والزائف فليكُن فرحُك أنت بفضل الله عليك وبرحمته فافرح أنت بالله .. وإذا كان الناس في هذا الزمان يستوحشون ويأنسون بأحبابٍ وأصدقاءٍ وخِلان، فليكُن أُنسُكَ أنت في الخلوة والتبتُّل مع الله .. وإذا تعرفوا إلى الملوك والكبراء وطمعوا في أن ينالوا من هذا ومن ذاك فيتقربون إليهم لينالوا بذلك العز والرفعة ..

فتعرَّف أنت إلى الله وتودد أنت إلى الله لتنال غاية العز والرفعة.

دعونا نشرع في هذه السلسلة المباركة بعد أن كنا في المحاضرة السابقة وضعنا شكلاً إجمالياً لهذه السلسلة **(سلسلة تعرَّف)**، والمقصود منها::

تحقيق أصل الأصول، ألا وهو معرفة الله تبارك وتعالى.

وذكرنا فيما سبق أن هذه المعرفة هي الأساس، وينبغي للعبد أن يُحصِّل الخمس معارف :

1) معرفة الله .. 2) معرفة النفس .. 3) معرفة آفات النفس .. 4) معرفة الطريق .. 5) معرفة العوائق التي على الطريق.

أصل الأصول معرفة الله عزَّ وجلَّ ..

فهي أعظم إضافة يُضيفها العبد إلى حياته، أن يرتقي فيصير اسمه عند الله عارفًا .. يعرف كيف يتعامل مع ربِّه ويُبصر طريق الوصول إليه، فيشعر بعد حصوله على هذه المنزلة وعلى هذه المكانة الشريفة بأثرها وثمراتها العظيمة.

من يعرف الله سبحانه وتعالى حقَّ المعرفة، ذلك الذي يُفارق الآفات والعيوب التي نشتكي منها إذا كنا ندّعي الالتزام كملتزمين.

كانوا يقولون : "إن مجالسة العارف .." .. فما بالك به، مجالسة العـــــــارف تدعوك من ست إلى ست، مجرد أن يكون عندك هذا في محيطِك أو أن تتقرب وتنال صحبة هذا الذي عرف الله عزَّ وجلَّ تُخرجك من ست وتوصلك إلى ست، هذا من يصحبه فما بالك به ؟

✍ قالوا وهذا كلام ابن القيم في (المدارج) : "تخرجك من الشك إلى اليقين، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن الغفلة إلى الذكر، ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ومن الكِبر إلى التواضع، ومن سوء الطويَّة إلى النصيحة ".

من الشك إلى اليقين: وربما عندما نقول الشك واليقين، يظن البعض أنه بمعزل عن هذه الآفة .. آفة الشك والمقصود بها ما دون اليقين، ومنزلة اليقين من الخطورة، ولكي نفهم خطرها لنا أن نتصوَّر المعادلة الثلاثية التي قد قلناها الخاصة بقصة طالوت وجالوت .. قلنا هي ثلاث مراحل ..

لكي تتربى تربية إيمانية، لابد أن تمر على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: هي مرحلة الإدعاء ..

المرحلة الثانية: هي مرحلة الدنيا .. مواجهة الدنيا وفتن الدنيا.

المرحلة الثالثة: مرحلة اليقين ..

ففي البداية نحن لم نخرج من الوهم ومن الادعاء أنني ملتزم، أنني بحق على مسئولية القول والعهد والوعد الذي يكون بيني وبين الله عزَّ وجلَّ ... وبعد ذلك عندما تواجهني الفتن فيكون هنا الامتحان **(امتحان الإيمان الحقيقي)** لاسيما في الدنيا .. فإذا مررت بهذا أيضاً – وقليلٌ ما هم – (ولم تنتهِ القصة بعد) يأتي بعد ذلك مرحلة {...قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاَقُو اللّهِ...} [البقرة: 249]

فإذاً لكي نصل إليها، وأنت مازال لديك مشاكل في قصة اليقين هذه وتحقيقه، فمن جملة الأمور التي توَّصِلَك إليه:

أن تعرِف وتعرِف مَنْ يَعرِف.

إذاً أول شيء: يُخرجه من الشك إلى اليقين ..

ثانيًا: يُخرجه من الريـاء إلى الإخلاص .. قصة الرياء أين تكون إشكالياتها ؟ .. تعظيم قدر الناس .. فلو عرف الله، لم يعُد الناس عنده بهذه المنزلة التي تجعله يركن إليهم أو ينتظر ثناءهم أو ينتظر نظرتهم لأنه سيكون قد عَرِفَ الله عزَّ وجلَّ، فيخرج إلى **واحة الإخلاص والتجرد مع الله تبارك وتعالى.**

ثالثًا: ومن الغفلة إلى الذكر .. لأنه لو عرف سيزول الحجاب – **حجاب الغفلة** – ما الذي يصنع حجاب الغفلة؟ يكون أساسه من التعرُّض إلى فتن الدنيا .. الانغماس فيها، فيورث الغفلة ..

فإذا عرف الله عزَّ وجلَّ دام وصاله به ودام اتصاله وذكره له، فتنقشع عنه تلك السُّحُب؛ سُحُب الغفلة.

رابعًا: ومن الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة .. فالدنيا ستصير عنده بالمعرفة لا ميزان لها، لأنه سيزن بميزان الربِّ تبارك وتعالى .. فإذا كانت الدنيا لا تساوي شيئاً عند الله عزَّ وجل، ولا تعدل جناح بعوضة فسيكون أمرها كذلك.

فلن يكون همي أن تكون شقتي وأن تكون زوجتي وأن يكون أولادي وأن تكون وظيفتي وأن يكون مالي، لن يكون هذا ديدني ..

إنما أخرج من الرغبة في الدنيا إلى الرغبة في الآخرة، ماذا حصَّلت وماذا بنيت لهذه الدار التي سأعمُرُها.

خامسًا: ومن الكبر إلى التواضع .. المتكبر إشكاليته أنه يدفع الحق لظنه في نفسه .. مشكلة المتكبر أنه يرى نفسه بعين التعظيم لا بعين الجناية ..

فإذا عرف الله عرف نفسه، فإذا عرف نفسه خرج إلى التواضع ..

بمعرفته أنه فقير .. سيعرف الله بصفة الغَني .. بصفة الغِنى .. فيعرف نفسه بأنه الفقر له ذاتي.

سادسًا: ومن سوء الطوية إلى النصيحة .. هنا الإشكال، هذا الذي خبُثت نفسه وصار مُعرِضاً، وصار لا يتقبل النُصح .. هذا ستجده إذا عرف الله عز وجل، سيغتنم النصيحة ويقبلها ويُحبها، لا أنه يتلقَّاها بصدرٍ ضيق.

إذا عرف الله عزَّ وجلَّ تحقق بذلك، وإذا عرف من عرف الله عزَّ وجلَّ تحققت فيه تلك الست.

✍ يقول ابن الجوزي في (الصيد): "من ذاق طعم المعرفة، وجد طعم المحبة".

لكنه يقول أن لها طعم، من ذاق هذا الطعم يذُق الطعم الأعلى .. طعم المحبة.

✪ **فالرضا من جملة ثمرات المعرفة ..** فإذا عرفته سبحانه رضيت بقضائه، أحبه إليه أحبه إليَّ.

"وقد يجري في ضمن القضاء مرارات، يجد بعض طعمها الراضي" ..

أي: أن هذا الراضي لن يأخذها ماء زُلال، لا سيكون بها تجرُّع للمرارة، لكن الصابر يتجرعها بشدة والراضي يتجرعها ويستسيغها.

أي: أن الثاني مُتمرِّر لكنه قد حبس لسانه عن التشكِّي وقلبه عن التسخّط .. فحبس نفسه عن مثل هذه المُخالفات، إنما الراضي يشعر بالمرار ثم بعد ذلك يستسيغها؛ لأن قلب الراضي هذا كأنه بالضبط قلبه مُحلَّى، تنزل عليه هذه المرارات فتتحوَّل بعد أن

كان طعمها مُر أصبح مُستساغ وتمر عليه دون مشكلة، هكذا يكون تشعر أن كل كلام الراضين والكلام الذي يذكرونه من قصص السلف في ذلك تشعر أنه يأخذها من هذا المنطلق " أن قدر الله أحب إليَّ من بصري " (لماذا أنت غاضب ؟؟) يترل على قلبه السكينة والرضا والطمأنينة.

فيقول: "أما العارف .." (انظروا) يقول: الراضي ممكن أن يجد مرار، ابن الجوزي هنا يقول: أن هناك مترلة أعلى من الصبر والرضا،

"أمَّا العارف فتقل عنده المرارة لقوة حلاوة المعرفة، فإذا ترَّقى بالمعرفة إلى المحبة، صارت مرارة الأقدار حلاوة" ..

انظروا إلى الثلاث منازل.

يقول أن مترلة المعرفة ، وهذه المعارف أنواع : هناك معرفة تُثمر حب، وحب قد يُثمر معرفة أعلى.

فيقول: أن الأول صابر، سيصبر ولن يكون هناك مشكلة لكن كما قلنا مع الحبس .. سيشعر بالمرار لكنه يحبس نفسه، الثاني يستحلى قليلاً ، والثالث يحوِّلها أصلاً فيجد مرارة الأقدار حلاوة،

أرأيتم كم أن ثمار المعرفة عظيمة وجليلة ؟؟

يقول القُشيري في (التحبير في التذكير): "ومن أوصاف العارف ألا تأخذه في الله لوْمة لائم، فيكون بالحق ناطقاً وبحق الله قائماً وفي دين الله قوياً .." .. لماذا؟ لثمرة من ثمرات المعرفة .. "لأن المعرفة تقتضي استصغار الأقدار سوى قدرِه".

الأقدار المقصود منها هنا أوزان الشيء، قدر الشيء بمعنى ثِقَله.

فيقول أن أي شيء ليس له وزن عنده (استصغار الأقدار) سوى قدره سبحانه وتعالى.

فيقول : لأن المعرفة تقتضي .. لو عرف الله عزَّ وجلَّ، فبعد ذلك لا شيء .. إذا كانت أمور تخص الدنيا والدنيا لا تُساوي شيء لا قدر لها عنده، وما المشكلة إذا ابتلي البدن أو يُبتلى الإنسان في كذا وكذا أو في ماله أو في ولده، ما المشكلة ؟ المهم أن ما حصَّل من الإيمان، هذا هو الذي عنده بالمترلة.

فالمعرفة تقتضي ذلك؛ أن يستصغر أي شيء دونه ..

"ومحو الأذكار سوى ذكره"

فكل ما يذكره وكل ما يهتم به، يمحوه إذا حلَّ ذكره سبحانه وتعالى في قلبه،

"فإن نطق نطق بالله وإن سكت سكت به، وأفضل الأشياء كلمة حق عند من يُخاف ويُرجى" ..

عموماً .. إذاً علامة من علامات من عرف الله عزَّ وجلَّ أن يُحصِّل تلك الثمرات.

تعالوا نُفصِّل ما كنا أجملناه في المحاضرة السابقة حينما تكلمنا عن من عرف الله عزَّ وجل وعلامات ذلك، وكنا ذكرنا في أول علامة :

قول الدَّقاق: "من أمارات المعرفة بالله حصول الهيبة من الله، فمن ازدادت معرفته ازدادت هيبته".

هنا نتحدث عن موضوع ما أهمه وأخطره، موضوع التعظيم لله تبارك وتعالى ..

التعظيم من علامات المعرفة .. والله سبحانه وتعالى سمى نفسه باسم **العظيم**، وهذا الاسم تكرر في القرآن في تسع آيات موجودة في أربع سوَّر ومُدارسة ذلك بين يديّ هذا الموضوع من الأهمية.

مواضع ورود اسم الله "العظيم" في القرآن الكريم

1) **ختام آية الكرسي ..** أول آية في القرآن ذُكِرَ فيها اسم الله العظيم هي .. **أعظم آيات القرآن؛ آية الكرسي ..** فالله سبحانه وتعالى ختمها بقوله : {...وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255]

2) **مُفتتح سورة الشورى ..** ثم الموضع الآخر ورد في سورة الشورى في مُفتتحها، في قوله سبحانه وتعالى : {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى: 4] .. وهنا سنتوقف وقفة عند التحليل لماذا يقترن اسمه العلي باسمه العظيم، لابن القيم فيها كلام.

3) **سورة الواقعة ..** ثم الموضع الثالث ورد في سورة الواقعة، ورد في موضعين الموضع الأول في قوله سبحانه وتعالى : {نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعاً لِّلْمُقْوِينَ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 73،74] .. وفي خاتمة السورة في قوله سبحانه : {إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 95،96]

4) **سورة الحاقة ..** وورد أيضاً في سورة الحاقة في موضعين الأول في قوله تعالى : {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 33] وفي خاتمة السورة : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 52]

لو تأملنا، وأنا أريد أن أبدأ من آية سورة الحاقة لأن فيها معنى مهم، لو تأملناها يقول الله تبارك وتعالى : {وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ (*) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ (*) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (*) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ (*) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ (*) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (*) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (*) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة: 25,32] لماذا؟

{إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 33]

وهذا الموضع وحيد في القرآن أنه ذكره هكذا، بالله العظيم، أتعرفون ما هو المعنى ؟

المعنى أنه كان لا يُعظِّم أمورنا، لا يُعظِّم أمرنا لا يُعظِّم نهينا، فلا يُعظِّمُنا .. فإنَّ من علامة تعظيم الله العظيم؛ أن يُعظَّم في أمره ويعظَّم في نهيه ويعظَّم حُرُماته.

هل ترون العقوبة ؟ .. لو أن ربَّك ليس في قلبك على هذا التقدير والتبجيل، العقوبة أن يكون من أصحاب الشمال .. ومن هنا يتبدى خطر الموضوع {إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 33]، لو يؤمن بالله العظيم والله العظيم لا يُمكن بحال أن ينتهك الحُرُمات، لا يُمكن بحال أن يقع في هذه الشِّراك، فيفتنه المال ويفتنه الجاه والسلطان وينشغل عن الله تبارك وتعالى ولا يُعطي لله حقوقه {وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ} [الحاقة: 34].

فالمعنى الأول: من لم يُعظِّم الله تبارك وتعالى متوَّعد بأشد العذاب .. متوَّعد بأن يكون والعياذ بالله من أصحاب الشمال.

ثم في نفس السورة ليبين نفس المعنى، ختمها بذلك فقال : {فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ (*) وَمَا لَا تُبْصِرُونَ (*) إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ (*) وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ (*) وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ (*) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ} [الحاقة: 38,43]، ثم انظروا يقول : {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ} [الحاقة: 44] .. يتكلم في حق النبي ﷺ لو أن النبي ﷺ زاد حرفاً أو قال ما لم يأذن الله له به، ولو تقوَّل كلمة لم يُؤمر بها {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (*) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (*) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ} [الحاقة: 44,46]، انظروا المقام كم فيه من قوة وفي نفس الوقت فيه وعيد ليُناسب هذا، مقام إجلال وهذه هي صفة المُعظِّم، المُعظِّم مُمتثل، لماذا قال : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 52] في النهاية؟ .. من أجل هذا المعنى ..

المُعظِّم لأمر الله تجده يسير حذو القُذَّة بالقُذَّة، يسير بتركيز .. لا يلتفت .. لا يزيد .. لا يغلو .. لا يُفرِّط.

هكذا {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (*) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (*) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (*) فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ (*) وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (*) } [الحاقة: 44,48] .. لتكون تذكرة لكل من يسلك السبيل إلي الله تبارك وتعالي، التعامل لابد أن يكون بهذا الإمتثال .. بهذا الإزعان .. بهذا الخضوع.

{وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ (*) وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ (*) وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الحاقة: 49,52]

هل استشعرتم المعنى الثاني الذي استفدناه من تحليل الآيات؟ .. ألا وهو :

المعنى الثاني: المعظِّم لأمر الله تبارك وتعالي منقاد، مستسلم، خاضِع، لا يتزيَّد ولا يتنقَّص.

لو تأملنا آية الكرسي .. ابن القيم يتحدث عن ختام هذة الآية باسمه العظيم ويورد ما في ذلك من نكتةٍ علمية .. هذا في (الصواعق المرسلة)، يقول : ففي آية الكرسي ذكر الحياة، التي هي أصل جميع الصفات { اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ } ..

أصل جميع الصفات: أن الله سبحانه وتعالي هو الحي، هو الذي يحيي وهو الذي له الحياة الكاملة الدائمة .. كان الله ومازال، وكذلك لن يزول، كان الله سبحانه وتعالى ولم يك شئ وسيظل سبحانه وتعالى له الحياة السرمدية ..

"وذكر معها القيومية المقتضية لذاته وبقائه .." .. فهو القائم بكل شئ، و الذي به قيام كل شيء، فكيف يفنى إذا كان هو الذي يقيم كل شئ سبحانه وتعالى؟ والذي به قيام كل الأشياء وهو القائم المدبر لجميع الأمور والأشياء، فيقول: "فتنتفي بذلك الآفات جميعها عنه" .. الحي والقيوم الاثنين سويًا، فيوجِب انتفاء جميع الآفات والعيوب عنه سبحانه وتعالي، لا يكون مُتَصِف بنوم ولا سِنة ولا عجز؛ ولذلك جاء التفصيل بعد ذلك في الآيات.

قال: " ثم ذكر كمال ملكه" .. سبحانه وتعالى .. فقال جلَّ وعلا {.. مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء }

قال: "ثم ذكر كمال ملكه ثم عقبه بذكر وحدانيته في ملكه وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم ذكر سعة علمه وإحاطته، ثم عقبه بأنه لا سبيل للخلق إلى علم شيء من الأشياء إلا بعد مشيئته لهم أن يعلموه، ثم ذكر سعة كرسيه منبها به على سعته سبحانه .." .. الله تعالى الواسع .. "وعظمته وعلوه، وذلك توطئة بين يدي ذكر علوه وعظمته".

أي كأنه كل ما ذُكِر في هذه الآيات، ليؤكد ويدلل على اتصافه بهاتين الصفتين سبحانه وتعالى فهو **العلي الأعلى** وهو سبحانه وتعالي **العظيـــم**..

"ثم أخبر عن كمال اقتداره وحفظه للعالم العلوي والسفلي من غير اكتراث ولا مشقة ولا تعب ثم ختم الآية بهذين الاسمين الجليلين الدالين على علو ذاته وعظمته في نفسه"

فقال {..وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [البقرة: 255].

قال: صفة العلي صفة كمال من صفات كماله سبحانه وتعالى، وكذا صفة العظيم، ويجتمع من اقترانهما كمالٌ ثالث، فالله حاز العلو بكل أنواعه ..

علو في ذاته، علو في صفاته ..

وجمع العظمة بكل صورها، فهو عظيم في علوه، عال في عظمته.

قال : ولعل تقديم اسم العلي على العظيم، من تقديم السبب على المُسبب؛ فعَظَم لعلوه على كل شئ ..

لماذا هو عظيم ؟ لأنه عليَ .. هو يقول عظم لعلوه، من الأعلي ؟ .. عندما نقول الرأس، فهذا الرأس الذي هو الملك مثلاً الذي في يده سياسة أمور البلاد فهو الرأس .. هو على قمة الهرم .. فعندما يكون عالياً يكون عظيماً لا شك، فكأن هذا من فقه اقتران اسم الله تعالى العلي باسمه العظيم.

ابن القيم له كلام آخر في اقتران اسم الله العلي باسمه العظيم يقول : شرع الله سبحانه لعباده، ذكر هذين الاسمين العلي العظيم في الركوع والسجود .. فهو الأعلى والعظيم .

قال : {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 96] و{ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1].

عن عقبة بن عامر قال: لما نزلت {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 96]

قال رسول الله ﷺ "اجعلوها في ركوعكم"، فلما نزلت { سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} [الأعلى: 1]

قال رسول الله ﷺ "اجعلوها في سجودكم" [رواه أبو داود وحسنه الألباني، مشكاة المصابيح (879)]

وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وأبو داوود، ولكن في إسناده نظر .. فضعفه الشيخ الألباني في ضعيف أبي داوود.

لكن الثابت بطبيعة الحال أن في الركوع التسبيح مع التعظيم، وفي السجود التسبيح مع إثبات صفة العلو لله سبحانه وتعالى.

يقول: وهو سبحانه كثيراً ما يقرن بين الاسمين { ... وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى: 4]، {... هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [الحج: 62، سبأ: 23].

{عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9] .. وهذه تحتاج إلي بحث؛ لأن هنا قدَّم الكبر علي العلو في الرعد .. قال {عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ} [الرعد: 9]

فيثبت بذلك علوه علي المخلوقات وعظمته، فالعلو رفعته والعظمة عظمة قدره ذاتاً ووصفاً.

ومن هذه الأسرار الجميلة والحكم الجليلة المتعلقة بهذا الاقتران، قوله سبحانه وتعالى .. إنه سبحانه قرن بين هذين الاسمين الدالين على علوه وعظمته في آخر آية الكرسي وفي سورة الشوري وفي سورة الرعد وفي سورة سبأ { ...قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} [سبأ: 23].

عرفنا هذا في شأن آية الكرسي.

في الشورى .. افتتح هذه السورة بقوله جلَّ وعلا : { كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (3) لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (5) } [الشورى: 3,5] .

لاحظوا الآيات متوالية، وذُكِر فيها ست أسماء لله تبارك وتعالى ..

أثبت له العز والحكمة والعلو والعظمة والغفران والرحمة، هذة الصفات الست.

اسمه العزيز الحكيم .. أخذنا القاعدة التدبرية؛ كلما وجدنا اسماً من أسماء الجلال بحثنا عن معني يناسبنا نحن، حظنا نحن من اسم الجلال عكس هذة الصفة .. فنحتاج نحن أن يكون عندنا الذل والحكمة.

والله يقول : { كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ ... } .. وكأن الذي سيستفيد من هذا الوحي هو ذلك الذي سيكون أكثر انكساراً وافتقارًا وذلاً، وهو الذي سيتعلم العلم الذي سيورثه الحكمة، فحظنا من اسم الله الحكيم هذا اسم جمال أن نتصف بتلك الصفة.

المعادلة تقول : ذل وانكسار يورثك علماً، العلم يورثك حكمة.

ثم قال : {لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ (4) } .. هذة صفة جلال أم صفة جمال ؟

لو هكذا ففي حق العبد له فيها أيضاً الأمران، يعني عليه أن يعلو على سفاسف الدنيا، وعليه أن يكون متواضعاً وليس متعالياً {.. أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ..} [المائدة : 54]، فعلوه هو سبحانه وتعالى يقتضي في حقك أنت أن تكون هكذا .

العلى العظيم صفة العظمة التى نتكلم عنها اليوم صفة جمال أم جلال ؟ صفة جمال في حقك أنت إذاً لا تعظم نفسك { ... فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32]

انظروا إلى أول الآية: { ... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى } [النجم : 32]

انظر إلى سياق الآيات يعني من أنت ؟ فعلامَ ترى نفسك ؟ وهو عالم بعيبك ونقصانك و ما فيك من عورات .. فأنت أصل كل عيبٍ وعورة وخطيئة وذنب .. { ... هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ ..} .. فعلام تُعجب بنفسك؟

فهو العظيم سبحانه وتعالى تحتاج منك أنت، فإذا عرفت الله عزَّ وجل بصفة العظمة ألا ترى لنفسك شيئا ولذلك قال : { لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ} [الشورى : 4]

إذا كان الأرض بما فيها والسماوات بما فيها كل ذلك لله تبارك وتعالى، فإذا كان يعلم كل ذلك سبحانه وتعالى فهو المستحق لهذا الوصف صفة العلو وصفة العظمة.

ثم دلل على ذلك فقال : {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ ... } تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ .. إجلالاً وتعظيماً وهيبةً لله تبارك وتعالى .

الموضع الآخر الذي هو في سورة الواقعة، سيفيدنا معنى آخر ألا وهو أن الله سبحانه وتعالى لما عدد نعمه على عباده فأخذ يقول سبحانه :

{أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ} [الواقعة: 58] .. { أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ} [الواقعة: 63]

{ أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاء الَّذِي تَشْرَبُونَ} [الواقعة: 68] .. { أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ} [الواقعة: 71]

وأخذ يعدد هذه النعم على عباده تبارك وتعالى، ختم هذا فقال: {فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 47] ،

وكأن في هذا إشارة على أن العبد يستطيع أن يصل إلي ذلك بالتفكُّر،

وهذا هو كلام أهل العلم فيها ، أنه عندما يتفكر في هذه المعاني، يتفكر أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم كذا .. أفرأيتم ...

انظر انظر انظر ويحثك على ذلك،

فكأن التأمل في خلق الله تبارك وتعالى وفي بديع صنعه سبحانه وتعالى يورث لا محالة تعظيم قدره ..

لذلك قال: فإذا رأيت بعين الإنصاف وإذا رأيت وأمعنت النظر فستصل لا محالة إلي التعظيم.

فنحن عندما نتحدث في تعظيم الأمر والنهي، ونقول أنك تعظِّم الأمر يعني الصلاة على أول وقتها، تعظِّم قدرها .. وتعظِّم النهي بأنك لا تقع فيه كل ما يؤدي إليه أو فيما جُعل حصناً .. فلا ينبغي أن تتعدي حدود الله.

فإن قلنا هذا الكلام، حسناً ... فماذا أفعل لكي يكون بحق عندي هذا الإحساس؟ أكون معظم لأمر الله ؟

قال تفكَّر... تفكَّر وعليك أن تُمعِن،

وإذا أنعم عليك بنعمة التفكر والتأمل والنظر ستصل إلي سبح باسم ربك العظيم

{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 74]

في الموضع التالي في نفس السورة .. قال جلَّ وعلا بعد أن بيَّن شأن القرآن { إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ (*) فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ (*) لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (*) تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ (*) أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ (*) وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ} [الواقعة: 77,82].

ثم بعد ذلك بيَّن أحوال كل طائفة ممن ذكر في أول السورة، سواء جزاء المقرَّبين وجزاء أصحاب اليمين وجزاء الضالين المكذِّبين من أصحاب الشمال، بيَّن كل جزاء لهم ثم قال: { إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (*) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ} [الواقعة: 95،96].

هل منكم من التفت لماذا ذيَّل بعد ذِكر الجزاء وبعد ذِّكر القرآن،

لماذا ذيَّل خاتمة هذة الآيات باسمه العظيم ؟

كأنهم لما لم يكونوا قائمين لله سبحانه وتعالى بحقه وقدره ولم يعظِّموا أمره ولم يعرفوه؛ لذلك قال "سَبِّحْ" نزهه .. لأنك لو تعرفه ما كنت لتقع فيما تقع؛ لأن الذي لا يعرفه هو الذي يقع في مثل ذلك، لا يعرف جلاله ولا يعرف هيبته سبحانه وتعالى، فيكون من

جرَّاء ذلك الوقوع في هذه الأمور، أما الذي يعظِّم وعلى قدر تعظيمه يكون جزاءه فيكون من أصحاب اليمين ويكون من المُقرَّبين، وهذا هو ما قلناه الآن أنه ثمرة من ثمرات المعرفة الهيبة والتعظيم وهذا التعظيم يورثه هذة المنازل.

هكذا نكون قد أخذنا اسم الله العظيم في القرآن ..

الآثار الواردة عن السلف في معنى تعظيم الله تبارك وتعالى

هناك بعض ما أُثر عن سلفنا الصالح في معنى تعظيم الله تبارك وتعالى وتحليه جلَّ وعلا بهذا الاسم ..

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله جلَّ وعلا: {وَ مَن كَانَ فِي هَـــذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً } [الإسراء : 72] .. قال: "من كان في الدنيا أعمى عما يرى من قدرتي، من خلق السماء والأرض والجبال والبحار والناس والدواب و أشباه ذلك فهو عما وصفت له في الأخرة ولم يرى أعمى سبيلاً وأبعد حجة" .. { وَ مَن كَانَ فِي هَـــذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى ... } هذا ليس على معنى التحقيق أنه سيكون أعمى في الآخرة.

يقول: إذا كان هو لايرى وهو في عالم المشاهدة، لايرى بديع خلق الله وغير مُعظِّم لأمر الله، والآيات كلها تنطق بذلك، إذاً فهل يرى الجنة والنار ؟ فبالتالي سيكون أبعد، هذا رأي أو هذا قول لابن عباس.

قال قتادة في قوله تعالى: { وَ مَن كَانَ فِي هَـــذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى .. } .. قال "من عميَّ عما يرى من الشمس والقمر والليل والنهار وما يرى من الآيات والرسائل التي يرسلها الله عزَّ وجلَّ للعبد ليل نهار ولم يصدِّق بها، فهو عما غاب عنه من آيات الله أعمى وأضل سبيلاً".

وذُكر عنه قريباً من ذلك أيضاً .. عن قتادة نفس هذا المعنى { وَ مَن كَانَ فِي هَـــذِهِ أَعْمَى .. } أي: في الدنيا فيما أراه الله عزَّ وجل من الآيات، فهو في الآخرة الغائبة التي لم يرها أعمى وأضل سبيلاً.

هذا معنى من المعاني الذي يوصلنا إلى تأكيد ما كنا بصدده من:

أن التفكُّر يورث التعظيم، وعكسه يورث الغفلة والعمى .

الأمر الثاني ورد في قول الله تبارك وتعالى: {... قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ } [الأنعام : 50]

قال قتادة: "الأعمى: الكافر الذي عميَّ عن حق الله وأمره ونعمه عليه، والبصير: هو العبد المؤمن الذي أبصر بصراً نافعاً ووحَّده وعمل بطاعته سبحانه وتعالى فانتفع، تفكَّر فعرِف فعظَّم" .

وورد أيضاً في قول الله جلَّ وعلا: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} [الذاريات: 20]

قال محمد بن صالح التميمي: "كان بعض العلماء إذا تلى تلك الآيات، قال: أشهد أن السموات والأرض وما فيها من الآيات تدل عليك وتشهد لك بما وصفت به هيبتك، وكلٌ يؤدي عليك الحجة ويقر لك بالألوهية، موسوماً بآثار قدرتِك ومعالم تدبيرِك الذي تجليت به لخلقك".

يقول: والله .. {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ} .. أشهد والله أن هذه السموات وهذه الأرض وما يحدث لي في ذاتي وأن كذا وكذا وكذا، كل ذلك ناطقٌ بأن الله سبحانه وتعالى هو الجليل الكبير العظيم جلَّ جلاله.

قال خليفة العبديّ وكان متعبداً: "لو أن الله تبارك وتعالى لم يُعبد إلا عن رؤية ما عبده أحد" .. لوكل الناس قالت: أنا لابد أن أرى الله سبحانه وتعالى لأعبده .. قال "ما عبده أحد، ولكن المؤمنين تفكَّروا في مجئ هذا الليل إذا جاء فملأ كل شئ وغطى كل شئ، وفي مجئ سلطان النهار إذا جاء فمحى سلطان الليل، وفي السحاب المُسخَّر بين السماء والأرض، وفي النجوم وفي الشتاء والصيف، فوالله ما زال المؤمنون يتفكرون فيما خلق ربهم تبارك وتعالى حتى أيقنت قلوبهم بربهم فكأنما عبدوا الله تبارك وتعالى عن رؤية".

✪ ثمرة التفكُّر ⟵ تعظيم يورِث الإحسان، فيعبد الله كأنه يراه.

وقال أحمد بن الحواريّ: التقى حكيمان من الحكماء فقال أحدهما لصاحبه – هذا الكلام جميل – فقال أحدهما لصاحبه : بمَ عرفت ربَّك؟، قال "بفسخ العزم" – عرفت الله بنقد العزائم –

أنا أريدها هكذا وحسبتها هكذا والمعادلة تسير هكذا (1 +1 =2) .. أجدها لا تتحقق .. يذاكر 8 ساعات ليصير الأول على الدفعة، يذاكر 12 ساعة يحصل على تقدير مقبول، والأمر ليس كذلك .. يأخذ كل الأسباب ويرسمها خطة محكمة ويفتقد فيها **شرط الإستعانة**، ويحسب أن الخطة بهذه الطريقة ناجحة، ويقول له علماء الإدارة هذا المشروع ناجح مليون في المئة .. دراسة الجدوى تقول والوضع كذا وما شابه .. وبعد ذلك يخيب ظنه وتخسر الصفقة ولا يحدث شيء، عرفت الله بنقد العزائم ..

عرفت الله بفسخ العزم ومنع الهمَّ، قال: لما عزمت أزالني القدر ..

عندما قلت أنا أريد وجاء القدر بشيء آخر .. وهممت فحال بيني وبين همي، وعزمت على العمل وهممت أني سأفعل هذا الموضوع وبعد ذلك أجد شيء آخر وجهتني لشيء آخر تمامًا .. هممت أني أفعل كذا وكذا، فإذا بي يُحال بيني وبين ما قد هممت به، قال: فعلمت أن المستولي على قلبي غيري. (هذا هو أول شيء) .

قال: فبمَ عرفت الشكر؟ (كيف تشكر ربك ؟)

قال "بكشف البلوى، لما رأيته مصروفاً عني موجوداً في غيري شكرته على ذلك" .. كشف البلوى (متى شكرت الله؟) عندما نظرت إلى شخص مُبتلى ووجد نفسي دخلت المستشفي وهذا الرجل مريض وهو في مثل عمري، واستشعرت أنه أزال عني ما أستحق، فلما نظرت بهذا النظر شكرته على ذلك، لما رأيت البلوى مصروفةٌ عني وموجودة في غيري شكرت على ذلك.

قال: فبمَ أحببت لقاءه ؟

قال "بأصل التخيير وانتفاء التهمة" .

قال: ما أصل التخير وانتفاء التهمة؟ .. لم يفهموا مقصده من الجملة.

قال "لما اختار لي تبارك وتعالى – انظروا إلى حسن الظن وحسن الرجاء، دعونا نستفيق بعض الشيء – دين الأنبياء والملائكة أحسنت به الظن ونفيت عنه التهمة – أليست التهمة التي لا يصرح بها الإنسان: أنه ظلمني، لماذا جعلني أنشأ في هذه البيئة، لماذا فعل بي هكذا ؟ ..

قال: فلما اختار لي أن أكون على دين الأنبياء وعلى دين الملائكة، أحسنت به الظن ونفيت عنه التهمة وعلمت أن الذي اختاره لي هذا لا يسئ إلي فأحببت لقاءه.

كان بعضهم (طالما الكلام قد طاب ... استمعوا لكلام المناجاة في التعظيم) .. كان بعضهم يناجي فيقول:

"سبحانك موجوداً غير محدود، معروفاً غير موصوف، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، جلَّ جلاله سبحانه وتعالى"

العظيم الله سبحانه وتعالى يقول: {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً } [نوح : 13] .. ليستخرج على خَدِكَ حُمرة الخجل .. يقول لك: لماذا لا تريد أن تعظِّمني؟ هل أنا أستحق منك ذلك؟ لماذا ؟ ماذا بك ؟ لِمَ لمْ تُفكِر في هذا ولم تحسبها بهذه الطريقة ؟ لماذا قدري عندك ضعيف ؟

{مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً }

لو توقفنا عند معنى الأستفهام هذا : ما لكم ؟ لا ترجون لله وقاراً ؟ أم مالكم لا ترجون لله وقاراً ؟

قال ابن عباس: {لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً} "لا تعلمون عظمته" .. إذا علمت من هو، لما كان هذا حالك معه .. كلمة تفتت القلب وآية محتاجة فعلاً أن تمرر على القلوب الفينة بعد الفينة، صلِّ بها ورددها؛ حتى تشعر بما فيها من وخز من الممكن أن يُحنن قلبك عليه، مالكم ؟ مالكم ؟ { مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَاراً } لا تعلمون من هو فتعظمونه.

قال ابن عباس في قوله: {ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ } [الرحمن: 27] .. قال: أي ذو العظمة والكبرياء.

وقال سعيد بن الجبير "تكلمت اليهود في صفة الربِّ تبارك وتعالى، فقالوا ما قالوا وهم لايعلمون ولم يدروا، فأنزل الله عزَّ وجل { وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... } [الزمر : 67] .. ثم بيَّن عظمته للناس، فقال: {وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّماوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ } [الزمر : 67] .. فجعل صفتهم له بما لم يتصف به شركاً" .. يعني لو أنا لا أعظم الله وعندما أوصفه لا أعطيه كماله لا أعطيه ما يستحق سبحانه وتعالى .. شرك، إنما حقه سبحانه وتعالى أن تعرف، يعني لو أنا قلت: عظيم سبحانه وتعالى عظمته لا تُحَد، وأنا ما بداخل قلبي من معنى هذا التعظيم من الممكن أن يكون مشابه لتعظيمي لبعض الخلق فشرك .. شرك في التعظيم .. بمعنى أني أعظم جداً .. يعني أخاف وأصاب بالرعب من أن فلان الفلاني يطلع عليّ في هذا المشهد .. مثل أحدهم يقوم بعمل ذنوب خلوات كذا أو كذا، يصاب بالرعب لو دخل كبيره أو والده أو لو زوجته فعلت كذا، معظم جداً لهذا ومع الله سبحانه وتعالى هذا لا يحدث .. يكون هذا شرك، فهو يعظِّم مخلوق أكثر مما يعظِّم الخالق فقال جلَّ وعلا: {وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ... } [الزمر : 67].

وروى الترمذي وحسنه الألباني من حديث أبيّ: أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربَّك، فأنزل الله {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2)} [رواه الترمذي وحسنه الألباني، صحيح الترمذي (3364)]

قال ابن عباس: "الصمد: هو السيد الذي قد كَمُل في سؤدده، قد كَمُل في مقامه، سبحانه الشريف الذي قد كَمُل في شرفه، العظيم الذي قد كَمُل في عظمته، الحليم الذي قد كَمُل في حلمه، الغني الذي قد كَمُل في غناه، الجبار الذي كَمُل في جبروته، والعالم الذي قد كَمُل في علمه، الحكيم الذي قد كَمُل في حكمه، وهو الذي قد كَمُل في أنواع الشرف والسؤدد، هو الله سبحانه هذه صفته لا ينبغي إلا له، ليس له كفء ليس له مثل سبحانه وتعالى الواحد القهار".

عندما تثبت لله صفة الصمدية يستوجب ذلك تعظيمه.

فالله سبحانه الصمد.

قال قتادة: "أي: الباقي بعد خلقه الذي قد انتهى في السؤدد" .. أي: في المقام.

وقال عبد الله بن بُريدة عن أبيه: "الصمد: الذي لا جوف له".

وقال ابن عباس: "الصمد الذي تصمد إليه الأشياء، أي: تستجير" .. إذا نزل بهم كرب .. إذا نزل بهم بلاء فهو سبحانه وتعالى المتصف بذلك.

حظ العبد من اسم الله تعالى العظيـــم

هذا ربنا جلَّ جلاله العظيم ... ما حظنا من اسمه العظيم .. كيف نعظِّم ؟

نعظِّمه إذا عظَّمنا أمره ونهيه وعظمنا الحرمات .. يقول الله جل وعلا { ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ... } [الحج : 30] .. ثم قال { ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ } [الحج : 32].

فأرشدنا إلى أن من يعظِّم حرماته سيلقى الخير، ويُرزق التقوى .. بل هي من علامات ذلك.

ماذا يعني ذلك عملياً ؟

التعظيم للحرمات قالوا، كما قال طبري: "أي: اجتناب المرء ما أمره الله عزَّ وجلَّ باجتنابه في حال إحرامه، تعظيماً منه لحدود الله".

وقال النيسابوري: "أي: العلم بوجوبها والقيام بحقوقها" .. يعرف ماهي الحرمات ويعرف هذه الأمور، فيراعيها ويعظِّمها كما أمر الله تبارك وتعالى .. فيقوم لله فيها بالحق.

العلماء وابن القيم له هذا الكلام في الوابل قالوا: "تعظيم الحرمات على درجات ثلاث .. (ركزوا هنا لأن هذا هو التطبيق العملي) .. قال:

الدرجة الأولى : تعظيم الأمر والنهي ..

كيف يتحقق هذا؟ .. بحيث لا يُعارضا بترخصٍ جافٍ .. عندنا رخص، مثلاً حال المطر يجوز الجمع وحال السفر كذلك، وعندنا رخصة حال شدة الحر أن يُبرِد بصلاة الظهر .. فيؤخرها عن وقتها فترة حتى يزول أثر شدة الحرارة، فابن القيم يضرب بذلك المثال على مسألة: لا يعارضا بترخص جاف .. فيقول "يترخص حتى يجمع الجمع الصوري .." .. أي: أن يصلي قبل صلاة العصر مباشرةً بدقائق يصلي الظهر بذلك، هذا ترخص جاف ثم بعد ذلك يأتي بصلاة العصر فكأنه جَمَع .. يعني يصلي الظهر، فبإمكانه تأخيره ساعة، لكنه يؤخره لمدة ثلاث ساعات .. فيصليه قبل صلاة العصر بوقت قصير .. ويقول لك أنه يُبرِد بالظهر .. اليوم الجو حار .. هذا ترخص جافي ..

ألا يعارض بترخص جافي: فيأخذ بالرخصة ويستخدمها في غير ما جُعلت له حتى يُخرجها إلى حد الجفاء..

هي رخصة، وهذا كثير من الأخوة عندما يتعبدون بالرخص ويعرفوا بعض العلم ويعرفوا أن هذه المسألة بها أقوال وما شابه فيستغل ذلك، مثل مسألة الجمع: جمع النبي ﷺ – حديث ابن عباس – في غير سفر ولا مطر .. فالترمذي حين علق على هذا، قال: أن هذا يكون عند – مؤدى كلامه – عند الاضطرار .. مثلاً أنت لديك ضرورة في هذا الأمر .. بمعنى أنه من الصعب أن تؤدي الصلاة في وقتها لأي حال طرأ عليك، فمن الممكن أن تستخدم هذه الرخصة وقيدوها حتى ببعض الأمور وحتى العلماء لم يتركوا المسألة هكذا.

الشاهد:: فيأتي فيقول الحديث مُطلق أو الحديث يجوز أن استخدمه ويلعب بها، فهنا يُقال له: خفة الديانة، أي أنك تستخدمها في غير موضعها ..

"ولا يعارضا" .. عكس النقطة السابقة .. "بتشدد غالي فيتعبد بالعزائم جميعها ويأخذ فيها بغلو فلا يترخَّص ولا يأخذ بالرخصة" .. لو صلَّى في السفر، لا يصلِّيها هكذا دائما، لا يقصر .. فهذا يُخرج الأمر عن التعظيم،

⊂ التعظيم اعتدال، التعظيم لا يعارضا بترخُّصٍ جافي ولا بتشددٍ غالي،

قال "ولا يحمل الأمر والنهي علي علة توهن الانقياد لهما".

ما العلة في مسألة مثل الربا ؟ .. فيقول لك: حرَّم الله عزَّ وجلَّ الربا خشية استغلال الفقراء، أما وإنه لا استغلال للفقراء لذا فإنه حلال حلال حلال .. هذا حَمَل النهي علي علة فتوهن الانقياد، فهذا لا يحقق معني الربا .. وهناك الكثير من الأمثلة في مبحث العلة.

لماذا حُرِّمت الزنا ؟ حُرمت لاختلاط الأنساب، لا يوجد الآن اختلاط أنساب مش نعمل أي شيء، فتوهن الانقياد.

لَمَ حرَّم الله إطلاق البصر ؟ نحن أصبحنا في زمن ... عمَّ تتكلم نحن نتكلم في عُريّ فاحش و... و... وتقول لي أنظر في وجهها يا شيخنا ؟؟؟ توهن الانقياد.

أي علة أنت تريدها، فقط احضر أي حكم لا يعجبك وضّع له العلة الخاصة به.

لَمَ حرَّم الله عزَّ وجلَّ أي شيء، الخمر ؟ بسبب الإسكار وأنا رأسي مصفحة أصلاً، فتوهن الانقياد، أليس مدمنوا المخدرات يقولوا هكذا ؟ يقول لك: أنا الحشيش لا تأثير له على رأسي، فتوهن الانقياد.

لَمَ حرَّم الله عزوجل ذلك ؟ لَمَ أمر الله عزَّ وجلَّ بالحجاب ؟ .. الحجاب حشمة وصيانة وستر، والآن هي لو ترتدي طويل (ماكسي) ومحترمة في كلامها ليس شرطاً، شعر ماذا الذي تتكلم عنه الآن، توهن الانقياد.

هكذا فيعظم الأمر، يقول أنه عمل كذا ؟؟؟ الصلاة لم يصلِّها في أول الوقت ؟ عمل كذا ؟ لا، لا، ربنا جعل الصلاة لتكون صلة بينك وبين الله، طالما قلبك عامر يبقي لا توجد مشكلة إطلاقًا!!.

فهذا ..

1) الترخُّص الجافي .. 2) وهذا التشدد الغالي .. 3) وهذا الذي يحمل الأمر والنهي علي علة توهن الانقياد ..

هذا يخرجه عن معنى التعظيم.

- **الترخص الذي يمنع صاحبه من الامتثال أو كمال الامتثال ..**
- **الغلو الذي يتجاوز بصاحبه حد الاعتدال .. لذا تفريط وإفراط.**
- **أو أن يتأوَّل ويأتي بعلة للأمر أو النهي ليخرج عن ذلك.**

عرفنا هذه هي الدرجة الأولي.

الدرجة الأولي تتحقق بثلاثة أشياء:

لا تفرِّط لا تفرِّط، وفي نفس الوقت لا تتأوَّل وتبيح المُحرمات لنفسك بأي علة من العلل التي تقدم ذكرها.

الدرجة الثانية : تعظيم الحكم ..

أن يبغي له عوج أو يدافع بعلم أو يرضي بعوض،

المقصود بالحكم، هنا الحكم الكوني القدري .. الحكم الكوني مفهوم .. كُن .. من السنن الكونية النافذة .. الأمر الكوني ليس المقصود به الحكم الشرعي، كما هو معلوم في الفرق ما بين الإرادة الشرعية والإرادة الكونية .

فيقول: "أمر الله النافذ .." يقول "تعظيمه، ألا يطلب له عوجاً أو يري فيه عوجاً".

أي عندما يترل الآن، الحكم القدري أنت مرضت .. كيف يكون تعظيم هذا الحكم ؟ .. أنت مرضت فلا يطلب أو يري فيه عِوج .. لا يقول لماذا مرضت ؟؟ .. لقد كنت نويت أن أعمل كذا من الأعمال، فيأتي الآن القدر فيثبطني !! .. فيري كأن الموضوع فيه نقيصة، هو كان يريد أن يعمل كذا .. فهو لم يرزق هذا مع أنه كان قد رتب الأمور بشكل جيد، فلا يري فيه عوجاً .. "بل يراه كله مستقيماً فلا يري في أمر الله النافذ".

أراضي المسلمين مسلوبة ونحن لا حول لنا ولا قوة، ماذا نعمل ؟ .. لماذا يـــــا ربَّ الناس مستضعفين ويُقتَّلوا ويُشرَّدوا فتجد من داخلك أن هذه حكمة الله .. فيرى هذا الحكم القدري كأنه فيه عوج .. فلسان حاله يقول: لا يستحق هؤلاء الفلسطينيون أن يحدث لهم ما يحدث .. كأنه يري ذلك.

تجد الناس تقول والله أخلاقه جيدة، كيف يدخل النار هذا، على الرغم من إنه علي غير ملة الإسلام!.

لذا أول أمر:

ألا يطلب أو يري في هذا الحكم القدري عوجاً.

قال "ومن كمال التعظيم: ألا يرضى العبد بعوضٍ يطلبه أو يدفعه بعلم".

فالشخص الذي يري الأمر فيه عوج سيدفع الأمر، ويقول:يارب لو كنت رزقتهم ألم يكن هذا أفضل؟ .. كأن هو الذي عنده العلم وكأن الله سبحانه وتعالى غير مطّلع علي هذه الأمور التي أنت مشفق من أجلها .. والآخر يرضى بالعوض يطلبه بعمله، فإن طلب ثواب الله وجزاء عمله .. أنه يفكر فيها بهذه الطريقة، يعني أنا عملت كذا وعملت كذا فأنا أنتظر الفيوضات والرحمات هكذا، يطلب العوض أنا عملت لك فاعطيني رحمات، هذا هو المعني.

فالدرجة الثانية أعلي .. الدرجة الأولى كنا نتكلم في الأمر والنهي الشرعي، قال لك: لا تغلو لا تفرط، لا تأتي بعلة لكي تراوغ.

في الأمر الكوني، المقام الأعلي الذي يقتضي مقام الرضا، قال: لا ترى أي شيء فيه خلل، وتراه بأنه هو المستقيم وهذا هو الحكم الأحكم والأسلم والأصوب في حق، وفي نفس الوقت ترضى به تمـــــــــام الرضا.

الدرجة الثالثة :تعظيم الحق سبحـانه ..

وهو ألا يجعل دونه سبباً ولا يري عليه حقًا أو ينازع له اختياراً.

تأمل معي هذه الدرجة العالية من اليقين، تعظيم الحق سبحانه ألا يجعل دونه سبباً .. قالوا: فهذا الذي تيقَّن بأن الذي سيوصله إلي الله هو الله، فلا يتوصَّل إلي رضاه إلا به.

فهذا ألقى بالحِمل تماماً، ولا يرى إلا الربَّ المُدبِّرلكل شأنه، فقائم بأعلي مقام من مقامات الرضا والتوكل ...

فلا يتوصل إلي رضاه إلا به ما دلَّ علي الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه ولا يرى لأحد من الخلق حقاً علي الله بل الحق لله علي خلقه ..

لا يرى أنه يوجد أحد يقدر أن يمُن .. { يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا... } [الحجرات: 17].

لا يوجد أحد يقدر يقول حقي، حقي أن أنت كنت تُحسن لي في ذلك، ولا لأي خلق، ولا لأي أحد، ولا حتي شخص النبي محمد، حتي النبي محمد صلي الله عليه وسلم .. لا أحد من الخلق له حق علي الله، الموضع الذي وقع فيه المتكلمين عندما قالوا: حقٌ علي الله أن يصنع ذلك، حقٌ علي الله أن يدخله الجنة.

لا يوجد حقٌ علي الله هذه، بل هوالذي يجعل ذلك علي نفسه، هو الذي يقول { ... وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ } [الروم : 47] .. هو يقول .. لكن أنت توجب عليه الحق وتقول له: لَمَ لم تعطيني الرزق ؟ وأنا عبدك وأنا ملتزم وأنا لم أترك فرضك ولست عامل كذا، لذا فأنت قد أسأت الأدب.

فهو بإلزام الله سبحانه وتعالي، ألم يقُل ربنا سبحانه وتعالي قال: حقٌ علي الله إذا عبدوه ولم يشركوا به شيئا، هو الذي أحقه علي نفسه إنما يجب عليك ألا تتطلب .. فتقول له أنا عبدتك فاعطيني، وألزم هو نفسه سبحانه وتعالي.

فالحق في الحقيقة لله علي عبده وحق العبد هو ما اقتضاه جوده وبره وإحسانه إليه بمحض الجود، ويعني هذا ألا ينازع المسلم (الثالثة) أو ينازع له اختياره .. الله قد اختار لي هذا، مقام الرضا الذي تكلمنا عنه، اختار لي هذا فأنا راضي بما اختاره لي .. بل يرضى بما اختاره له فإن ذلك من تعظيم الله له ومن تعظيم حرمات الله.

علمتم الدرجات الثلاث؟

درجـات تعظيم الحُرمـات:

الدرجة الأولي: تعظيم الأمر والنهي الشرعي ..

الدرجة الثانية: تعظيم الحكم الكوني ..

الدرجة الثالثة: تعظيمه هو، الحق سبحانه وتعالي .. بألا يجعل من دونه سبباً أو لا يري عليه حقاً أو ينازع له اختياره.

حسنًا، لكي نجسد هذا المعني في بعض الأمور .. ونحن سنضرب مثالين للتعظيم واقعياً أيضاً.

إذا أردت أن تعظِّم الله فلابد أن تعظِّم قدر رسول الله صلي الله عليه وسلم .. فمن علامة تعظيم الله، مثلما ذكرنا تعظيم الأمر والنهي .. أيضاً

من علامة تعظيم الله: توقير وإجلال النبي صلي الله عليه وسلم ..

الذي هو أحد شِعاب الإيمان بالله جلَّ وعلا .. قال في شأن تعظيم النبي صلي الله عليه وسلم { لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ .... } [الفتح : 9] .. أي: تُعظِّموه وتفخِّموه وتنصروه وتمنعوا منه.

وقال جلَّ وعلا مبينًا بعض مظاهر تعظيمه، قال: { لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضاً } [النور: 63]، { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ} [الحجرات: 2].

فذكروا في جملة الآداب التي ينبغي أن تكون مع النبي صلي الله عليه وسلم قالوا:

1) حرمة المصارعة والمسابقة قولاً أو فعلاً أمامه .. { ... لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ... } [الحجرات: 1]

2) حرمة رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ .. مشهور كلام ابن القيم: إذا كُنا لا نرفع الصوت كيف تقدم عقولنا علي سُنة نبينا؟!.

3) حُرمة الغلظة له بالخطاب ومناداته باسمه .. فلابد من إجلاله وتوقيره، وذمَّ الله الذين ينادونه من وراء الحجرات إذ هذا منافٍ للأدب، يا محمد يا محمد يا محمد، فهذا من سوء الأدب معه صلي الله عليه وسلم .

4) وقال جلَّ وعلا: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ اللّهِ وَلاَ يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ

..} [التوبة: 120] .. فعلَّمهم أن نفس الرسول ﷺ أكرم وأشرف وأزكي وأجمل من أنفسهم، فلا يسعهم من ذلك إلا أن يصرفوا أنفسهم له ولا ينبغي بحال أن يصرفوا أنفسهم عما لا يصرف نفسه عنه فيتخلفوا .. إذا كان النبي صلي الله عليه وسلم يبذل نفسه الذاكية، فما بالك ونفسك أنت هذه الحقيرة كيف يبذلها هو وأنت...

5) وقال جلَّ وعلا: { إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً } [الأحزاب: 57] .. فبيَّن الله تبارك وتعالي جعل أن حفظ كرامة النبي صلي الله عليه وسلم وصيانته عن أذى كل ذي أذى، أن هذا أمرٌ حتم وأن من آذاه متوعدٌ باللعن والطرد من رحمة الله تبارك وتعالى.

ولو تأملنا التطبيق العملي من الصحابة في ذلك وقارناه بما نحن عليه، علمنا هل نحن معظِمين لقدر النبي ﷺ أم لا ..

✪ انظروا... لمَّا يذكر عمرو بن العاص تعامله مع النبي ﷺ فيقول: وما كنت أُطيق أن أملأ عينيّ منه إجلالاً له، ولو سؤلت أن أصفه ما أطقت .. فما كان يستطيع أن يُحد النظر في وجه وجه النبي ﷺ هيبةً له.

✪ وكان لا يتوضأ هو ﷺ إلا ابتدر الصحابة وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً ولا يتخنَّم بنخامةٍ إلا تلقوها بأكفهم فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها.

✪ وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يمدون إليه النظر تعظيماً له، صلى الله على النبي محمد ﷺ.

فتعظيمه بالقلب باتباع ما دلنا عليه النبي ﷺ .. فهو ما يتبع اعتقاد كونه عبد الله ورسوله، وتقديم محبته على النفس والولد والوالد والناس أجمعين، هذا حق تعظيـــــم النبي ﷺ بالقلب.

وتعظيمه باللسان: بكثرة الثناء عليه بما هو أهله .. مما أثنى عليه ربه به وأثنى على نفسه من غير غلوٍ ولا تقصير {إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً} [الأحزاب : 56].

✪ ومن تعظيم اللسان ألا نذكره باسمه أبداً .. وإنما لا بد من زيادة ذكر النبوة والرسالة والصلاة عليه، **نبينا محمد** ﷺ .. وما ورد طبعاً توقيفاً أمراً آخر، اللهم صلي على محمد وعلى آل محمد، هذا أمرٌ توقيفيّ ليس داخلاً في هذا، وإنما نتكلم عند ذكره هكذا مجرداً.

✪ ومن تعظيم اللسان تعداد فضائله وذكر خصائصه ودلائل نبوته .. وتعريف الناس به، وتعريف الناس بصفاته وأخلاقه ومنزلته، هذا كله داخل تحت تعظيم النبي ﷺ باللسان.

أما تعظيم الجوارح: فهو بالتأسي بسنته ﷺ.. هذا أمر عملي، إذا أردتم أن تعرفوا، أنتم تعظمون ربكم أم لا، فانظروا كيف حال النبي عندكم .

الأمر الثاني: على النقيض تماماً، تعظيم الذنب ...

كيف يكون ؟

✍ أذكر هنا كلام ابن عباس في (الحلية): "يا صاحب الذنب لا تأمن سوء عاقبته، ولما يتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته، قلة حيائك ممن على اليمين وعلى الشمال وأنت على الذنب أعظم من الذنب، وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانعٌ بك أعظم من الذنب، وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب، وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب، وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب إذا عملته".

فالذي يُعظِّم ربَّه ويُعظِّم شأن النهي ينظر في هذه المعاني: قلة الحياء، وعدم الخجل، وعدم الاكتراث بنظر الله الأسبق وباطلاع الملائكة الأشهاد، وعدم المبالاة .. تضحك ولا تكترث وتتهمنا أننا نريد أن نصيبك بالاكتئاب .. ذنب وعقوبات .. ذنب وسيحدث لك .... وفي نفس الوقت يكيد حتى يصل إلى ما يريد، فإذا وجده فَرِح بأنه حصل على الذنب الذي يريده، وإذا فاته حزِن، ولا يكون عنده هذا الاحساس باستشعار نعمة الستر، واستشعار مراقبة الله ونظر الله، بل خوفه ورجاؤه متعلقٌ بالأسباب ومتعلقٌ بالسوا.

وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب، ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب .

وكما قال ابن مسعود: "فالمؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يقع عليه، وأما الفاجر فيرى ذنوبه كذبابٍ مرَّ على أنفه، ثم قال به هكذا".

دعونا نعظِّم شأن ربنا ونختم بهذه التسابيح وتلك المناجاة من كلام سلفنا، فكان عَوْن بن عبد الله بن عتبة يقول في مناجاته:

ربي ... ما أحلمك وأمجدك وأجودك وأرأفك وأرحمك وأعلاك وأقربك وأقدرك وأقهرك وأوسعك وأفضلك وأنورك وأبهاك وألطفك وأخيرك وأعلمك وأشكرك وأحلمك وأحكمك وأعظمك وأكرمك.

ربي ... ما أكرم شأنك ... وأحسن ثوابك.

ربي ... ما أجزل عطاءك ... وأجلَّ ثناءك.

ربي ... ما أحسن بلاءك ... وأسبغ نعماءك.

ربي ... ما أعلى مكانك ... وأعظم سلطانك.

ربي ... ما أعزَّ ملكك ... وأتمَّ أمرك.

ربي ... ما أمتن كيدك ... وأغلب مكرك.

ربي ... ما أعظم عرشك ... وأشد بطشك .

ربي ... ما أوسع كرسيَّك ... وأهدى مهديَّك .

ربي ... ما أعزَّ نصرك ... وأقرب فتحك .

ربي ...ما أعزَّ بلادك ... وأكثر عبادك .

ربي ...ما أوسع رحمتِك ... وأعرض جنتِك.

ربي ...ما أوسع رزقك ... وأزيد شكرك.

ربي ...ما أسرع فرجك ... وأحكم صنعك.

ربي ...ما ألطف خيرك ... وأقوى أمرك.

ربي ...ما أبرد عفوك ... وأحلى ذكرك.

ربي ...ما أعدل حكمك ... وأصدق قولك.

ربي ...ما أوفى عهدك ... وأنجز وعدك.

ربي ...ما أحضر نفعك ... وأتقن صنعك.

اللهم لك الثنـاء الحسن، ربِّ العرش العظيم ما أعظم شأنك، وأعلى مكانك، وأرفعك، وألطفك، وأمنعك، أنت أعظم وأجلَّ وأسمع وأبصر وأعلا وأكبر و أظهر، وأشكر، وأعفي، وأقدر، وأعلم، وأخبر، وأعز، وأكرم، وأبر، وأرحم، وأحمد، وأمجد، وأجود، وأقدر.

أنت أكمل من أن يدركك عبادك ومن أن يدرك عبادك عظمتك يـــا ربَّ العالمين.

قال أبو سعيد الأزرق: دخلت مكة ليلاً فبدأت بالمسجد ودخلت الطواف، فبينما أنا أطوف إذا أنا بامرأةٍ في الحِجر رافعةً يديها ملتزمة البيت قد علا تسبيحها فدونت منها وهي تقول:

يـــا من لا تراه العيووون و لا تخالطه الأوهام والظنووون ولا تغيره الحوادث ولا يصفه الواصفون، ولا يخاف الغوابر، ولا مُغيِّبات العواقِب، عـالم بمثاقيل الجبال، ومكاييل البحار، وعدد قطر الأمطار والأشجار، وعدد ما أظلم عليه الليل وأشرق عليه النهار، لا يواري منه سماءٌ سماء، ولا أرضٌ أرضاً، ولا جبل ما في وعره ولا بحر ما في قعره، استكانت لعظمته جوامح الأمم، وتزللت لهيبته السماوات والأراضون ..

أسألك .... أسألك .... أن تجعل خير عمري آخره وخير عملي خواتمه وخير أيامي يوم ألقـــاك .. منَّاً منك وطَولاً.. يـا ذا الجلال والإكرام،،

ثم صرخت وغُشي عليها .

فنسأل الله تبارك وتعالى أن نكون له معظِّمين، وأن يستودع في قلوبنا هيبته.

يـا رب ... يا رب اجعلها في قلوبنا الآن الآن، اجعلها في قلوبنا إلى يوم نلقـاك، اجعل هذه الهيبة وهذا التعظيم لقدرك، يـا عظيـم، يـا كريـم، يـا ذا الجلال والإكرام، يـا رحمن يا رحيـم، يـا حي يـا قيوم نسألك ألا تردنا، نسألك ألا تردنا، وأن تفرج كربنا، وأن تحسِّن خاتمتنا، وأن تجعلنا من أخلص عبادك لك، ومن أصدق عبادك لك، ومن أكثر عبادك لك طاعة، ومن أكثر عبادك لك عبادةً وتوبة.

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك

وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم،،

فضيلة الشيخ / هاني حلمي